# الإشارات القرآنية للتنمية البشرية

د. إسماعيل مخلف خضير الزيدي
الجامعة العراقية / كلية الآداب

**الملخص**

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول الصالح لكل زمان ومكان لهداية البشرية كلها في مختلف مجالات الحياة، وهو الكتاب الأوحد الذي يرسم لهم المعالم الصحيحة للوصول إلى السعادة الأبدية، فأي محاولة فهم أو إصلاح تتجاوزه فمآلها إلى الفشل والخسران.

ولقد فطن سلفنا الصالح إلى مصدرية هذا الكتاب العظيم وسيادته الحكيمة وهيمنته الكبرى على العقول الإنسانية، فسادوا العالم بعد أن جعلوه المرجع الوحيد في بناء العلوم والمعارف الدقيقة التي تضبط لهم النظرة السليمة إلى الإنسان والحياة والوجود، وكيفية إقامة الروابط والعلاقات بين هذه العناصر الثلاثة بما يتناسب مع الفطرة الإنسانية والاجتماعية، وصولا إلى إقامة مجتمع شعاره ((بلدة طيبة ورب غفور)) التي ترنو إليها أعناق المصلحين الربانيين في كل عصر ومصر.

ومن أجل تفعيل هدايته الشاملة الكاملة في عصر العولمة على الصورة التي تتناسب مع جمال هذا الكتاب وكماله وعظمته، وإعادة سيادة الأمة الإسلامية إلى ما كان عليه السلف الصالح؛ فإن على المسلمين اليوم بصفة عامة والباحثين المعنيين بالدراسات القرآنية والإسلامية بصفة خاصة أن يجددوا قراءاتهم بصفة مستمرة لهذا الكتاب الأعظم، كل بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم المتاحة لهم.

## Abstract

The Koran is the primary source of drinking every time and place to guide all humanity in various areas of life, which is the only book that draws them to the correct parameters to reach eternal happiness, any attempt to understand or repair exceeded Fmalha to failure and loss.

The high-end our righteous forebears to a source this great book and sovereignty of the wise and major dominion over human minds, prevailed the world after that made him the only reference in the construction of the exact sciences and knowledge that seizes them sound perception of human life and existence, and how to establish links and relations between these three elements in proportion to the the humanities and social instinct, all the way to the establishment of community motto ((good Lord is Forgiving town)), which aspires to the necks of the reformers Pentecostals in every age and Egypt.

In order to activate the full comprehensive guide him in the era of globalization, the picture that fit with the beauty of this book and its perfection and greatness, and restoring the rule of the Islamic nation to what it was Ancestors; the Muslims today in general and researchers involved in the studies of Quranic and Islamic particular to renew their readings on an ongoing basis for this Great book, all commensurate with their abilities and potential available to them.

# مُقَدِّمَة

الحمد لله ذي المنة والإنعام المتفضل بالابتداء والاختام أسبغ نعمه ظاهرة وباطنه، تتوالى على الدوام خَلقاً وخُلقاً ، وتبارك الله ذو الجلال والاكرام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام ، أشرف المخلوقات الذي كان خُلقه القرآن ، فما من خُلقٍ رفيع ولا فضيلة نُشرت إلا وله نسبتها وأصلها ومادتها ، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول الصالح لكل زمان ومكان لهداية البشرية كلها في مختلف مجالات الحياة، وهو الكتاب الأوحد الذي يرسم لهم المعالم الصحيحة للوصول إلى السعادة الأبدية، فأي محاولة فهم أو إصلاح تتجاوزه فمآلها إلى الفشل والخسران.

ولقد فطن سلفنا الصالح إلى مصدرية هذا الكتاب العظيم وسيادته الحكيمة وهيمنته الكبرى على العقول الإنسانية، فسادوا العالم بعد أن جعلوه المرجع الوحيد في بناء العلوم والمعارف الدقيقة التي تضبط لهم النظرة السليمة إلى الإنسان والحياة والوجود، وكيفية إقامة الروابط والعلاقات بين هذه العناصر الثلاثة بما يتناسب مع الفطرة الإنسانية والاجتماعية، وصولا إلى إقامة مجتمع شعاره ((بلدة طيبة ورب غفور)) التي ترنو إليها أعناق المصلحين الربانيين في كل عصر ومصر.

ومن أجل تفعيل هدايته الشاملة الكاملة في عصر العولمة على الصورة التي تتناسب مع جمال هذا الكتاب وكماله وعظمته، وإعادة سيادة الأمة الإسلامية إلى ما كان عليه السلف الصالح؛ فإن على المسلمين اليوم بصفة عامة والباحثين المعنيين بالدراسات القرآنية والإسلامية بصفة خاصة أن يجددوا قراءاتهم بصفة مستمرة لهذا الكتاب الأعظم، كل بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم المتاحة لهم.

وقد وقع اختياري على موضوع ( الإشارات القرآنية للتنمية البشرية ) ليكون عنوان بحثي المشارك في مؤتمر كلية الآداب الجامعة العراقية تحت عنوان ( العلوم الانسانية والتنمية البشرية المعاصرة ) وذلك لأن القرآن له الفضل و السبق في موضوع التنمية البشرية ، وأنه سبق الغرب في هذه الموضوعات المهمة في حياة الانسان.

واقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع.

**المقدمة** : وذكرت فيها بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه ، سبب اختيار الموضوع ، وخطة البحث.

**المبحث الاول** : وبينت فيه مفهوم التنمية البشرية وأهدافها.

**المبحث الثاني** : وذكرت فيه خصائص التنمية في القرآن.

**المبحث الثالث** : وضحت فيه إشارات القرآن للتنمية.

**الخاتمة** : وذكرت فيها أهم نتائج البحث .

**ثم المصادر والمراجع** .

وختاماً لعلي قدمت جهداً متواضعاً في هذا البحث ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، فله الحمد في الاولى والآخرة ، وما وجد فيه من خطأ أو زلل أو سهو فمن نفسي والشيطان واستغفر الله لذلك.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

**الباحث**

## المبحث الاول
## مفهوم التنمية البشرية وأهدافها

### المطلب الاول : مفهوم التنمية البشرية

يعد مفهوم التنمية البشرية من المفاهيم الحديثة التي شاعت في العقود الأخيرة من خلال الدراسات العلمية والتقارير الدولية التي ترصد حياة الإنسان وتسعى إلى إيجاد بيئة أفضل للعيش وممارسة الحياة، وعلى الرغم من حداثة استخدام المفهوم، فإن فكرة التنمية البشرية ليست حادثة على الإنسان بل تمتد بامتداد الوجود الإنساني ذاته، فالسعي للتنمية والتطور والنماء ملازم لمسيرة الإنسان في حياته، وشكل إحدى الوسائل التي تطورت بها الحياة البشرية على كوكب الأرض، وقد شهدت الحياة البشرية تطورا في مفهوم التنمية البشرية حتى استقر إلى ما وصلت إليه تقارير الأمم المتحدة التي ترصد هذه التنمية منذ خمسينيات القرن الماضي.

إن تعريف التنمية البشرية يتطلب منا الإحاطة بمفهوم التنمية أولاً باعتبارها الأساس الذي يتم فهم المصطلح من خلاله، فقد تطور تعريف التنمية وتعددت رؤية الباحثين له باختلاف رؤيتهم وتخصصهم واهتمامهم، فبعضهم كان يرى فيه الجانب الاقتصادي، وبعضهم نظر إلى التنمية من جانبها الاجتماعي، إلا أن هذه التعريفات لم تصمد طويلا، إذ سريعاً تطور التعريف ليشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية، ولذا يصعب إعطاء المفهوم تعريفا محدداً لكن يمكننا تحديد مفهوم تنمية الموارد البشرية بأنه **(عملية واسعة وشاملة ومستمرة ومتعددة الجوانب لتغيير حياة الإنسان وتطويرها إلى الأفضل)**[١].

وقيل: هي عمليه تنميه وتطوير إمكانيات ومقدرات الإنسان، بهدف توسيع الخيارات المتاحة أمامه، باعتباره أداه وغاية التنمية[٢].

### المطلب الثاني : أهداف التنمية البشرية

للتنمية البشرية أهداف عدة نذكر منها[٣] :

١. بناء انسان قادر على مواجهة الحياة والتغيرات التي تحدث حوله بشكل إيجابي وفعال.
٢. مساعدة الفرد على التفكير بشكل إيجابي وإبداعي وتغير نظرته من نظره سطحيه الى نظرة اكثر عمقا وبشكل مختلف للحياة من حوله.
٣. محاولة اثراء تواصل الفرد بالمجتمع بشكل أخلاقي ومؤثر يعبر فيها الفرد عن نفسه ويتولد شيء من الارتياح بينه وبين اسرته واصدقائه وزملاء العمل وقائديه .
٤. مساعدة الفرد لإيجاد الوظيفة المناسبة له وكيفيه الحصول عليها وما يحتاجه لذلك من مؤهلات ودورات سمات في الشخصية.
٥. النحو الامثل وعمل على اظهار ابداعاته الخلاقة به. فهو قائد المهمة التي يقوم بها مهما صغرت.

٦. بناء انسان يدرك ماهي اهميه الوقت وما هو اهميه دوره وكيفيه استغلال طاقاته ومواهبه ووضع اهداف لحياته.

٧. كيفيه التعامل مع المشكلات التي تواجه الفرد بشكل إيجابي، فلا يتعامل مع المشكلة وكأنه مصوب لرأسه فوهة مدفع.

## المبحث الثاني
## خصائص التنمية في القرآن

تتميز التنمية في القرآن بمميزات عدة منها :

١. **التطوير والتغيير**:

إنّ أهم خاصية للتنمية هي كونها عملية تهدف إلى تطوير وتغيير حياة الناس في مجتمع ما، ولذلك لا يكاد يخلو تعريف من الإشارة إلى هذا العنصر الأساس في عملية التنمية أو ما يشاكله، مثل التقدم والرقي والتحسين وغيرها.

ولكن عملية التطوير والتغيير هذه لابد أن يراعى فيها مدى قابلية الأفراد واستطاعتهم لذلك، حتى لا يكلف الناس أكثر من وسعهم أو يحملوا ما لا يطيقون فتفشل العملية من حيث يراد لها النجاح(٤).

ثم إنّ عملية التغيير تكون في التنمية دائماً نحو الأحسن فالأحسن، وذلك لوجود فرق مهم بين كلمتي التغيير والتنمية؛ فالتنمية دائماً تعني التحسين والرقي والزيادة في الشيء، بينما التغيير قد يكون لما هو حسن كما يكون لما هو سيئ. وقد ورد لفظ التغيير في موضعين من القرآن الكريم، أولهما في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ الأنفال: ٥٣ وثانيهما في سورة الرعد وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾الرعد: ١١ ، فالتغيير الوارد في الآية الأولى إنما هو تغيير نحو السيئ، بحيث إنّ الله لا يُغيِّر نعمته إلى نقمة إلا إذا حصل ما يقتضي ذلك، وهو التغيير السيئ لأنفس قوم ما.

يقول العلامة السعدي : (( حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم))(٥).

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ) يحتمل خمسة أوجه: **أحدها**: لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه. **والثاني:** لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته. **والثالث**: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم. من تأدية حق الله تعالى منه. **والرابع**: لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى

يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان. **والخامس**: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد(٦).

**٢. الاستمرارية**:

إنّ العملية التنموية وتحقيق مهمتها الحضارية لا تتم في يوم وليلة أو في عشية وضحاها، بل تأخذ زمناً يطول ويقصر على قدر عزائم الناس الساعين إلى التنمية. ولكن عملية التنمية لا تتوقف عند تحققها، بل لابد من المحافظة عليها وتحقيق المزيد منها، وبذلك تكون التنمية عملية مستمرة نحو الأحسن فالأحسن. وهذه الديمومة والاستمرارية للعملية التنموية تكون مستغرقة لحياة الأفراد والمجتمعات على حدّ السواء؛ بمعنى أنّ الأفراد يستنفدون أعمارهم من أجل التنمية، ويحرصون على نقل ذلك لمن يخلفهم في المجتمع(٧).

بناء على ذلك، تكون هذه العملية تواصلية استمرارية، مستمرة على مستوى الأفراد، متواصلة على مستوى المجتمعات، بحيث تتواصل العملية التنموية من جيل إلى آخر دون توقف، فإذا توقف جيل ما عن القيام بذلك يؤدي ذلك إلى خلل في العملية غالباً ما يؤدي إلى تراجع حضاري، كما حصل في العالم الإسلامي الذي شهد نهضة حضارية، ومن ثم بدأ تراجع طويل، والسبب في ذلك راجع إلى عدم استمرارية العملية التنموية وتواصلها بين أجيال مجتمع ما. فضلاً عن ذلك، فإنّ خاصية الاستمرارية في التنمية نابعة من النظرة الإسلاميّة السامية للكون والحياة والإنسان؛ فالإنسان خلقه الله ليكون خليفة له في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾البقرة: ٣٠. وهذا الإستخلاف لا مجال فيه للعبث وإضاعة الوقت فيما لا ينفع يقول تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥.

ثم إنّ هذه النظرة السامية للحياة مبنية على التصور القرآني لخلق هذا الكون وأنه ليس للعب ولا للعبث كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الأنبياء: ١٦.

والمعنى: إننا لم نخلق السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات لا يعلمها إلا الله، لم نخلق ذلك عبثا، وإنما خلقنا هذه المخلوقات بحكمتنا السامية، وقدرتنا النافذة، ومشيئتنا التي لا يقف في وجهها شيء(٨).

إذن، فالإنسان لم يخلق سدى، ولا الكون خلق عبثاً أو لعباً، فلابد أن يستثمر الإنسان حياته لتنمية ما في الكون، وهي المتمثلة في عملية التعمير: قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١ .

يقول الشعراوي – رحمه الله– (إن خلافة الإنسان في الأرض تقتضي أن يتحرك ويعمر الأرض، وحين يريد الله منا أن نتحرك ونعمر الأرض فلا بد من أعمال تنظم هذه الحركة، ولا بد

من فنون متعددة تقوم على العمارة، ويوزع الله الطاقات الفاعلة لهذه الفنون المتعددة ويجعلها مواهب مفكرة ومخططة في البشر)[٩].

ويضاف إلى ذلك، أنّ الله تعالى كلّف الإنسان بتعمير الكون، وتنمية ما فيه، واستثماره، وهذا كلّه في مقدور الإنسان واستطاعته وليس فيه تكليف له بما لا يطيق، لأنّ المولى حين كلّف عباده بذلك يسّر عليهم القيام به، وذلك بأنْ سخّر لهم ما في الكون وذلل لهم الأرض تذليلاً ، وقد وردت عدّة إشارات إلى ذلك في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: ١٢ – ١٣.

يقول ابن كثير : (يَذْكُرُ تَعَالَى نِعَمَهُ عَلَى عَبِيدِهِ فِيمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ وَهِيَ السُّفُنُ فِيهِ بِأَمْرِهِ تعالى. فإنه هو الذي أمر البحر بحملها وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ أَيْ فِي الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَيْ عَلَى حُصُولِ الْمَنَافِعِ الْمَجْلُوبَةِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَقَالِيمِ النَّائِيَةِ وَالْآفَاقِ الْقَاصِيَةِ، ثُمَّ قال عز وجل: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ أَيِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَجَمِيعِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ أَيِ الْجَمِيعُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَامْتِنَانِهِ وَلِهَذَا قَالَ: جَمِيعاً مِنْهُ أَيْ مِنْ عِنْدِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)[١٠].

**٣. الشمولية**:

إنّ العملية التنموية لا تقف عند التطوير والتغيير المستمر نحو الأحسن فالأحسن، بل لابد أنْ يضاف إلى ذلك كلّه ميزة أخرى وهي الشمولية، والمقصود بالشمولية في عملية التنمية الإسلاميّة أنْ تكون فيها مراعاة لقدرات الإنسان وإمكانياته المختلفة، سواء أكانت مادية أم معنوية (روحية، نفسية، عقلية...). فهذه الشمولية بالمعنى المتقدم تعد من خصوصيات التنمية الإسلاميّة التي تنفرد بهذه الخاصية عن سواها، حيث (إنّ القرآن الكريم يخلو تماماً من ثنائية النفس والجسد التي شغلت الفكر الأوربي الديني والفلسفي، ذلك أنّ الإنسان في المنظور القرآني هو روح وجسم، ولم يرد في القرآن قط ما يحط من قدر الجسم)[١١] .

وبناء على ذلك، فلا غرابة أنْ يكون الجسم أحياناً سبباً للاختيار والتفوق على الآخرين كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾البقرة: ٢٤٧

**فَقَدَّمَ الْعِلْمَ عَلَى الْجِسْمِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ سَائِرِ النِّعَمِ سَعَادَةُ الْبَدَنِ، فَسَعَادَةُ الْبَدَنِ أَشْرَفُ مِنَ السَّعَادَةِ الْمَالِيَّةِ فَإِذَا كَانَتِ السَّعَادَةُ الْعِلْمِيَّةُ رَاجِحَةً عَلَى السَّعَادَةِ الْجُسْمَانِيَّةِ فَأَوْلَى أَنْ تَكُونَ رَاجِحَةً عَلَى السَّعَادَةِ الْمَالِيَّةِ**(١٢).

وأعتقد أنّ فشل العمليات التنموية في العالم الثالث، ولاسيما العالم الإسلامي، سببه الرئيس أنها لم تكن شاملة لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، حيث إنّ أكثرها يركز على الجانب المادي الذي يراعي التنمية الاقتصادية المحصورة في زيادة الإنتاج وتنميته ولو كان ذلك على حساب الجانب المعنوي في الإنسان، إذ لا عبرة به في عملية التنمية.

**٤. الوعي بمقصود الشارع من الاستخلاف**:

استخلف الله سبحانه وتعالى الإنسان في الأرض، وسخر له ما في الكون جميعاً، وجعل الأرض له ذلولاً، ليسير له عملية القيام بمهمّة الاستخلاف وتعمير الأرض ولكن الأمر المعضل الذي يعسر علاجه هو غياب الوعي من قِبل أبناء العالم الإسلامي بمقصود الشارع من الاستخلاف، و أريد أنْ أبيِّن أهمية الوعي بمقصود الشارع من الاستخلاف في عملية التنمية، إذ لا يكفي مجرّد العلم بذلك ومعرفته، بل لابّد أنْ يكون هذا الوعي حاضراً أثناء القيام بهذه المهمّة ومصاحباً لها، بل لابد أنْ يكون دافعاً قوياً نحو قيام أبناء العالم الإسلامي بمهمتهم نحو حصول التنمية الحضارية.

ولذا، فإنّ الوعي بمقصود الشارع من الاستخلاف يكون خير دافع للعالم الإسلامي من أجل قيامه بالعملية التنموية وتحقيق عمارة الأرض واستثمار ما في الكون. وسبب ذلك؛ أنّ الإنسان لابد أن يكون له هدف يسعى إليه، ودافع ديني أو عقدي يكون حافزاً له للعمل وبذل الجهد، بغض النظر عن قيمة هذا الدافع ونوعيته. وكلّما كان واعياً ومستحضراً لذلك الدافع الديني أو العقدي كان جهده أكثر وعمله أفضل، ولاسيما إذا كان المطلوب منه مستمراً طيلة حياته ومتواصلاً بين الأجيال، مثلما هو الحال بالنسبة للاستخلاف في التصور الإسلامي(١٣).

**٥. الرعاية**:

إنّ ما نقوله عن التنمية والتعليم وما ينتج عن ذلك من نهوض حضاري، كلّه يبقى حبراً على ورق إذا لم تتم رعايته، لأنّ التنمية التي تحقق نهضة حضارية ليست بعملية فردية، بل هي عملية حضارية يشترك فيها أفراد العالم الإسلامي جميعاً، وتتضافر جهودهم لتحقيق التنمية المطلوبة للنهضة. ولذا، فمن الأهمية بمكان أن يتولى أولو الأمر في العالم الإسلامي تبني المشروع التنموي والسهر على تنفيذه وأنْ يحظى برعايتهم ويحثوا الناس على ذلك ، وبناء على ذلك، فإنّ المقصود بالرعاية هنا أنْ يهتم أولو الأمر في العالم الإسلامي بأمر التنمية .

**٦. التعاون والتكامل:**

فإذا قام أولو الأمر في العالم الإسلامي بواجب الرعاية للتنمية، من حيث الاهتمام بها والتخطيط لها وتنظيمها وتوفيرها لأفراد المجتمع جميعاً، فبعد هذا كلّه لابد من استجابة المعنيين بعملية التنمية وهم أفراد الأمة الإسلاميّة وذلك بالتعاون فيما بينهم، ولاسيما أنّ شرعنا الحنيف يحثنا على التعاون فيما فيه خير وصلاح كما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ المائدة: ٢

**يَعْنِي: ( أَنَّ وَاجِبَكُمْ أَنْ تَتَعَاوَنُوا بَيْنَكُمْ عَلَى فِعْلِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)**[١٤].

ولذا، فإنّ عملية التنمية لابد أنْ تكون تنمية للأمة الإسلاميّة كلّها، وذلك بتعاونهم فيما بينهم وتكاملهم، وإلا فلا تنمية بفقدان ذلك كلّه.

وهذا النوع من التعاون يكون على مستوى إقليمي، بحيث إنّ كلّ إقليم من أقاليم العالم الإسلامي يقوم أفراده بتعاون داخلي من أجل إحداث تنمية إقليمية. فإنْ تحقق ذلك، يُنـــتقل إلى نوع آخر من التعاون أسمى وأرقى من الأول، بحيث يتجاوز حدود الإقليم الواحد ليحدث تعاون خارجي بين أقاليم العالم الإسلامي جميعاً.

ويجب ان يكون التكامل بين الاقاليم الاسلامية في مجال التنمية؛ فيستفيد كلّ إقليم إسلامي من خصوصيات ومميِّزات الآخر، كما يستكمل النقص الذي به من غيره، ولا يتحقق ذلك إلا بالتكامل الأممي. فضلاً عن ذلك، فإنّ هذا التعاون التكاملي يحقق وحدة العالم الإسلامي فيزداد أمر التنمية قوّة، على خلاف ما لو كانت هناك فرقة واختلاف بين أقاليم العالم الإسلامي فتضعف عملية التنمية وتؤول إلى الفشل[١٥].

**٧. الاستقلالية:**

لكلّ أمة خصائص تميّزها عن غيرها، ولها تراثها الديني والمعرفي الذي يكوِّن بمجموعه ثقافتها الخاصة بها، وبناء على ذلك، فإنّ العملية التنموية لابد أنْ تكون نابعة من خصائص ومميِّزات تلك الأمة، منسجمة مع تراثها الديني والمعرفي، ولا تكون مستعارة أو مستوردة، وبعبارة أخرى، فإنّ عملية التنمية لابد أنْ تـــتم بعيداً عن أيّ نوع من أنواع التبعية بحيث يصح أنْ نطلق عليها – تنمية مستقلة– وعليه فإنّ العالم الإسلامي إذا أراد أنْ يقوم بعملية تنموية ناجحة وأنْ يحقق نهضة حضارية فليس من سبيل أمامه إلا التنمية المستقلة التي يعتمد فيها على ذاته، ولا ينتظر تنميةً أو تطويراً من الآخرين ولكن ينتظر منهم تعميقاً لتنمية التبعية ومزيداً من الاستغلال[١٦].

## المبحث الثالث
## إشارات القرآن للتنمية

**المطلب الاول : المصطلحات المرادفة**

إذا كان الإنسان هو مرتكز التنمية البشرية فإن الإسلام قد سبق كل الرؤى لذلك إذ إن اختيار الإنسان لحمل الرسالة الإسلامية جعله المحور الذي تقوم عليه عملية البناء والتنمية والتطوير في المجتمعات الإسلامية، فهو الحامل للأمانة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢ ، وهذا الحمل للأمانة يقتضي استعداداً لدى الإنسان المسلم لذلك، وهو ما تتجه إليه الرؤية الإسلامية لمفهوم التنمية البشرية[١٧].

فعلى الرغم من أن مصطلح التنمية لم يرد في المصادر الإسلامية، فإن المفهوم حملته مصطلحات أخرى وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية ومن ذلك:

**١. التزكية**

في قوله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ الشمس: ٧ - ٩ أي : طهرها الله وأصلحها وجعلها زاكية[١٨].

وهي المعاني التي تتضمنها التنمية بمفهومها الإسلامي ، والمقصود أن تكون هذه الزيادة صالحة ونافعة.

**٢. الإعمار**

فقد قال تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١ قال ابن كثير: (استعمركم فيها أي جعلكم عُماراً تعمرونها وتستغلونها)[١٩] .

وقد شرح القرطبي معنى الأعمار بقوله: (أي جعلكم عُمارها وسكانها، والاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب، كما أن {استعمركم فيها} خلقكم لعمارتها)[٢٠].

ولا شك أن عمارة الأرض تتطلب عنصراً فاعلاً ومؤثراً وهو الإنسان، إذ لا يمكن أن تتم عملية الإعمار إلا بإنسان قادر ومهيأ بالإيمان والعلم والفكر والمهارة التي تمكنه من القيام بعملية الإعمار، وهذا لب التنمية البشرية التي ترتكز على تطوير الإنسان بجميع مكوناته النفسية والعملية .

**٣. التنشئة**

قال تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ هود: ٦١.

وقوله تعالى ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ - المؤمنون: ١٩. والتنشئة تأتي بمعنى التربية والزيادة والإيجاد والتنمية، قال ابن منظور: (نشأ ينشأ.. ربا وشب، وارتفع)[٢١].

**المطلب الثاني : الأسس التي تدور حول الانسان**

وتقوم تنمية الموارد البشرية في الإسلام على أسس تدور حول الإنسان باعتباره الهدف الرئيسي لعمليات التنمية البشرية وبرامجها المختلفة وتقوم هذه البرامج على عدد من الأسس من أبرزها:

١. **الاستخلاف**: فقد اختار الله سبحانه وتعالى الإنسان ليقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض انطلاقا من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾البقرة: ٣٠، وهذا الاستخلاف يقتضي قيام الإنسان بدوره كما أمره الله سبحانه وتعالى من خلال تنمية مكونات الإنسان الإيمانية والنفسية والعملية، وهي السمة الأساسية للتنمية البشرية[٢٢].

يقول سيد قطب : (وإذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله– بإذن الله– في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه)[٢٣].

٢. **التسخير**

إن الاستخلاف يقتضي التسخير؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بمهمته في الأرض دون أن تسخر له كل الإمكانات، وقد يسر له الله سبحانه وتعالى ذلك بتسخير عاملة المخلوقات والكائنات في الأرض للإنسان، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ لقمان: ٢٠، إن التسخير يقتضي إعداد الإنسان إعداداً جيداً بتنمية مهاراته وقدراته وتصوراته للتعامل مع ما سخر الله له حتى يستطيع أن يقوم بذلك على الوجه الذي أمر سبحانه وتعالى به.

٣. **المعرفة**

حتى يقوم الإنسان برسالته التي كلفه الله سبحانه وتعالى بها لابد له من العلم والمعرفة، إذ الجهل حائل دون ذلك، والمعرفة تقتضي الإحاطة بما كلف الإنسان به، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩.

وهناك عدة آيات تتحدث عن العلم والمعرفة في إشارة إلى أهمية ذلك في حياة الإنسان، ولذا اعتنى الإسلام بالعلم ودعا إليه، وأمر أتباعه بتعلم كل العلوم النافعة حتى يستطيع المسلم أن يؤدي

دوره نحو ربه بإخلاص العبودية وتأدية الواجبات المفروضة، وكذلك بتعمير الحياة، ونفع الناس، وجعل الإسلام العلم مدخلاً لمعرفة الله سبحانه وتعالى فقال ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد: ١٩- وإذا أراد المسلم أن يقوم برسالته في الحياة فلابد له من علم ومعرفة مستمرة ودائمة يتابع خلالها ما استجد من العلوم والمعارف والحاجات، وذلك لا يأتي إلا من خلال تنمية مهاراته وقدراته، إن غياب العلم والمعرفة يفسح المجال لأن يتقدم الجهل والجهلاء وفي ذلك فساد وإفساد للحياة[٢٤] .

وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته[٢٥].

**٤. التخطيط**

إن تنمية الموارد البشرية تقوم على التخطيط وحسن التدبير، وذلك يقتضي دراسة الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمعات وتحليله بإيجابياته وسلبياته، ووضع الحلول لمعالجة المشكلات ودراسة التوقعات المستقبلية بالمقاييس العلمية واقتراح الرؤى لذلك والإعداد الجيد للبرامج والخطط المستقبلية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإعداد في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠.

وقد وردت الآية بشأن الحرب، إلا أن دلالتها عامة في وجوب الاستعداد والتخطيط، فإذا كان الأمر يوجب التخطيط للحرب ومواجهة العدو وهو أمر طارئ ومؤقت فإن التخطيط للحياة في غير الحرب واجب كذلك لأنها الفترة الدائمة والممتدة والتي فيها معاش الناس وحياتهم مما يتطلب الاستعداد المبكر لها، وقد علمنا القرآن الكريم أهمية التخطيط في قصة يوسف عليه السلام، بقوله تعالى ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ يوسف: ٤٧.

قال يوسف تزرعون سبع سنين دأباً وأصل معنى الدأب التعب ، ويكنى به عن العادة المستمرة لأنها تنشأ من مداومة العمل اللازم له التعب ، وما حصدتم في كل سنة فاتركوه في سنبله لكيلا يأكله السوس ، إلا ما لا غنى عنه من القليل الذي تأكلونه في تلك السنين ، وفيه إرشاد التقليل في الأكل ، ثم يأتي من بعد السنين السبع المذكورات سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما ادخرتم في تلك السنين من الحبوب وأسند الأكل إليهن مع أنه حال الناس فيهن مجازي ، إلا قليلاً مما تحرزونه وتخبئونه لبذور الصناعة . ثم يأتي من بعد تلك السنين الشديدة عام يصيب الناس فيه غيث مطر وفيه فرج والناس يعصرون ما من شأنه أن يُعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها [٢٦].

لاحظنا كيف فسّر يوسف الرؤيا على أتم وجه وزاد على ذلك تقديم النصائح والارشادات والتوجيهات . وكيف يستغلون سنوات الرخاء وكيف يتعاملون مع سنوات الشدة والقحط وكيف يخزنون الحبوب .

وإذا به خبير اقتصادي، وخبير زراعي، وخبير مالي، وخبير تمويني، وخبير في التخطيط، وخبير في تأويل الأحاديث وتعبير الرؤى .

كما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على أهمية التخطيط المستقبلي حيث قال: إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ...)[٢٧] .

وإذا كان التخطيط لمستقبل الورثة وهم أفراد محدودون مأمور به، فإن التخطيط لمستقبل المجتمعات والشعوب والدول أهم وأكثر حاجة.

**٥. المسؤولية**

تشكل المسؤولية إحدى الأسس التي تقوم عليها تنمية الموارد البشرية، وإذا كانت مسؤولية الفرد تتطلب منه أن يطور مهاراته ويجدد علمه فإن مسؤولية الدولة تدعوها أن تولي الموارد البشرية أهمية خاصة بحيث توفر لهم سبل التنمية والتطوير والإبداع، فعلى المستوى الفردي تؤكد الآيات الكريمة أهمية المسؤولية الفردية فقد قال تعالى﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ النجم:٣٩

أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنبا[٢٨].

أما على مستوى المسؤولية العامة أو مسؤولية الدولة، فقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك في الحديث الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول(( **أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))[٢٩] ولذا فإن اهتمام الدولة بتنمية الموارد البشرية يأتي ضمن مسؤوليتها العامة[٣٠].

**٦. العمل**

هو المحور الذي تدور عليه عملية تنمية الموارد البشرية، إذ أن الإنسان الذي يؤدي العمل يحتاج إلى كفاءة مهنية وعقلية تربوية تؤهله للقيام بدوره في المهام والوظائف العملية، ولذا اهتم الإسلام بالعمل وحث عليه سواء كان عملا تعبديا أو مهنيا ورفع من قيمة العمل، قال تعالى﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾

التوبة: ١٠٥ وحث النبي (صلى الله عليه وسلم) على العمل فقال: (( مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ ))[٣١] .

ولا شك أن الإنسان الذي يراد له أن يؤدي عمله ويتقنه لابد له من مهارة وإعداد وذلك صلب عملية تنمية الموارد البشرية.

**٧. التغيير**

فتنمية الموارد البشرية تسعى لتغيير إمكانات الإنسان ومهاراته نحو الأفضل فهي تهيئ له فرصة التدريب والتوجيه والسعي نحو اكتساب كل جديد في حياته، ما أمكنه ذلك.

والتغيير سنة الحياة، لكن التغيير المقصود هو الذي يعود بالنفع والصلاح على الإنسان، فليس التغيير مطلوبا لذاته، وإنما هو مطلوب لغاية إيجابية يعمل من أجلها[٣٢]، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى إرادة التغيير بإرادة الإنسان ذاته، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ الرعد: ١١

**٨. الأمانة**

إذ عليها المعول في ضبط أي سلوك إنساني، وليست الأمانة حفظ الحقوق والأموال فقط، بل الأمانة في كل شيء، ومن أبرزها أمانة الدين ثم أمانة العمل، إن ما تعانيه كثير من المؤسسات العالمية والمحلية من فساد وخلل وانهيار إنما يعود في كثير منه إلى فقد الأمانة، أو ما يطلق عليه غياب أخلاقيات المهنة، إذ بفقد ذلك تنهار قيم العمل وضوابطه، وتشيع قيم أخرى هي للفساد أقرب منها للصلاح، ولا شك أن غياب الأمانة إنما يعود في جزء كبير منه إلى غياب الإيمان، كما يعود أيضا إلى غياب مفاهيم التنمية البشرية الصحيحة التي تقوم على البناء الأخلاقي للإنسان[٣٣].

وقد أعطى الإسلام أهمية كبرى للأمانة فقال سبحانه وتعالى ممتدحاً المؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ المؤمنون: ٨.

وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من تضييع الأمانة فقال: (( إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ( إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ))[٣٤].

**٩. الإصلاح**

إن مهمة تنمية الموارد البشرية تقوم على إصلاح الفرد بحيث يكون عنصراً فاعلاً عاملاً لخدمة دينه ومجتمعه والبشرية جمعاء، ولذلك كانت رسالات الأنبياء جميعا تقوم على الإصلاح انطلاقا من قوله تعالى ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

نلاحظ إن مناهج التنمية في القرآن الكريم، ومفاهيمِها الأساسية، وصيغها، وكلِّ المحاور المرتبطة بها، غير مبينة في سورة واحدة، أو تحت عنوان واحد؟ بل هي مبثوثة في كامل القرآن الكريم، بصيغ مختلفة، وصور متباينة؟

لا شكَّ أنَّ القرآن الكريم كتاب حياة ، وليس من طبيعة الحياة التجزؤ ولا الانحياز، فالحديث عن التنمية حديث عن جوانب الحياة كلها، التربوية منها والاقتصادية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية... ومجرَّد حشر التنمية تحت عنوان واحد أو سورة واحدة خروج عن المنهج الأمثل في التعامل مع هذا الموضوع الخطير.

يقول حسن حنفي : (لا تقتصر التنمية فقط علي تنمية الموارد المادية والبشرية، بل هي جزء من التنمية الشاملة أو التنمية المتكاملة. فالتنمية جزء من النظام الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والمالي، والضريبي، والتعليمي، وإن كانت بالأساس تعني التنمية الاقتصادية بهدف النمو الاقتصادي )[٣٥].

وبالتالي، فإنَّ شمولية التنمية وتكاملها هي أبرز سمة من سمات التنمية في القرآن الكريم، فمنهج معالجتها ينبغي أن يكون بالتبع منهجا شموليا متكاملا... ولا يفهم من هذا – بالطبع – أن يغرَّق الموضوع في عموميات لا نهاية لها، ولا أن ينظر إليه على أنـــَّه مرادف لكلِّ المواضيع، يأخذ منها ويرجع إليها، حتى وإن كانت بعيدة؛ ذلك أنَّ مِثل هذا التعميم كفيل بتضييع المنهج والمبنى، وإفساد المقصد والمعنى.

والقرآن في عرضه لمختلف مجالات التنمية وأنواعها دقيق كلَّ الدقَّة، واضح غاية الوضوح، لا لبس فيه ولا إيهام، فمن ذلك مثلا قوله تعالى، في الحديث عن التنمية الزراعية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ يس: ٣٣ – ٣٥ ، فالآيات أبرزت حدود عمل الله تعالى، ولم تُلغ عمل الإنسان وجهده وعلمه، شأن بعض الفهوم الخاطئة لسنن الكون؛ ذلك أنَّ نتاج الإنسان من أسباب الازدهار المنشود، وأنَّ عملَه من مقدِّمات التنمية الحقَّة؛ فقوله تعالى: (وما عملته أيديهم) أي : بِمَعْنَى الَّذِي تَقْدِيرُهُ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمِمَّا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَيْ غَرَسُوهُ وَنَصَبُوهُ[٣٦]. ثم إنَّ الشكر كذلك سبب من الأسباب ومقدِّمة من المقدِّمات، وبالتالي، فإنَّ الشطر الأول – أي العلم والعمل – مفهوم وواضح لدى كلِّ الشعوب والمجتمعات، حتى وإن كانت كافرة أو ملحدة، أمَّا الشطر الثاني فيحمل إضافة بارزة وبديعة، ألا وهي: شكر النعمة، وهنا يتضح الفرق الجوهري بين المنهج القرآني والمناهج الفكرية الأخرى[٣٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٧ وقال جل شأنه﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ يس: ٧١ - ٧٣

وكلَّما غاص باحث في آية من آيات التنمية في القرآن الكريم، إلاَّ وبهرته هذه الدقة وذلكم الوضوح، فهذه سمة ثانية من سمات منهج القرآن في معالجته لموضوع التنمية.

من هنا نسجِّل أنَّ أبرز السمات في المنهج القرآني للتنمية أربعة، هي: الشمولية، والتكامل، والدقة، والوضوح.

## الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، الذي وفقني لإتمام هذا البحث ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلة آله وصحبه وسلم .

وبعد : فقد توصلت في بحثي هذا الى عدة نتائج أذكر منها :

١. إن القرآن الكريم له الفضل والسبق في موضوعات التنمية البشرية ، وانه سبق الغرب في هذا الميدان بعشرات القرون .
٢. إن أبرز سمات المنهج القرآني للتنمية هي : الشمولية ، والتكامل ، والدقة والوضوح .
٣. إن الانسان هو محور العملية التنموية ؛ لذلك أهتم الله بالإنسان وسخر له ما في السموات والارض.

وختاماً لعلي قدمت جهداً متواضعاً في هذا البحث ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، فله الحمد في الاولى والآخرة ، وما وجد فيه من خطأ أو زلل أو سهو فمن نفسي والشيطان واستغفر الله لذلك.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## هوامش البحث:

(١) مجلة الوعي الاسلامي د. سعيد عبدالله حارب ، العدد ٥٣٢ لسنة ٢٠١٠ الكويت
(٢) مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات : د. صبري محمد خليل : /www.alrakoba.net
(٣) ينظر : http://tanmiabashria.blogspot.com
(٤) ينظر : موقع www. Islam web.net
(٥) تيسير الكريم الرحمن : ٣٢٤/١
(٦) ينظر : تفسير النكت والعيون ، للماوردي : ٢ / ٣٢٧
(٧) ينظر : أسس تنمية الموارد البشرية من منظور اسلامي : ٤
(٨) تفسير الوسيط ، الطنطاوي : ٩ / ١٩٤
(٩) تفسير الشعراوي : ٢/ ١١٤٣
(١٠) تفسير القرآن العظيم : ٢٤٤/٧
(١١) الروافد الفكرية العربية والاسلامية لمفهوم التنمية البشرية ، محمد الجابري : ٤٩
(١٢) تفسير الرازي : ٤١٨/٢
(١٣) ينظر : مجلة الوعي الاسلامي د. سعيد عبدالله حارب ، العدد ٥٣٢ لسنة ٢٠١٠ الكويت
(١٤) التحرير والتنوير ، لابن عاشور: ٦ /٨٧
(١٥) مفهوم التنمية ، اسلام ويب : http://library.islamweb.net
(١٦) ينظر :المصدر نفسه
(١٧) ينظر : مجلة الوعي الاسلامي
(١٨) ينظر : تفسير النسفي : ٣ / ٦٤٨
(١٩) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٣١
(٢٠) الجامع لأحكام القرآن : ٥٦/٩
(٢١) لسان العرب : ١٧٠/١
(٢٢) ينظر : مجلة الوعي الاسلامي د. سعيد عبدالله حارب ، العدد ٥٣٢ لسنة ٢٠١٠ الكويت
(٢٣) في ظلال القرآن : ١ / ٥٦
(٢٤) مجلة الوعي الاسلامي د. سعيد عبدالله حارب ، العدد ٥٣٢ لسنة ٢٠١٠ الكويت
(٢٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي : ٧٨٧/١
(٢٦) يُنظر : روح المعاني ٥٩٧/١٢-٥٩٨ ، نظم الدرر ، ٥٣/٤.
(٢٧) رواه مسلم في صحيحه : ٣/ ١٢٥٠ ، باب الوصية بالثلث ، برقم ١٦٢٨.
(٢٨) ينظر : تفسير تيسير الكريم الرحمن : ٨٢١/١
(٢٩) صحيح مسلم : ١٤٥٩/٣، باب فضيلة الامام العادل ، برقم ١٨٢٩.
(٣٠) مجلة الوعي الاسلامي د. سعيد عبدالله حارب ، العدد ٥٣٢ لسنة ٢٠١٠ الكويت
(٣١) رواه ابن ماجه في سننه : ٧٢٣/٢ ، باب الحث على الكسب ، برقم ٢١٣٨.
(٣٢) مجلة الوعي الاسلامي د. سعيد عبدالله حارب ، العدد ٥٣٢ لسنة ٢٠١٠ الكويت
(٣٣) التنمية في الاسلام ، ابراهيم العسل : ١٤

(٣٤) رواه البخاري في صحيحه : ١٠٤/٨، باب رفع الامانة ، برقم ٦٤٩٦ .
(٣٥) الإسلام والتنمية : ٣
(٣٦) ينظر : تفسير ابن كثير : ٥١١/٦
(٣٧) ينظر : الانسان محور التنمية في المنهج القرآني ، د. محمد بابا عمي .

## المصادر والمراجع


**القرآن الكريم**

١. تفسير النكت والعيون، لابي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (ت ٤٥٠ه) تحقيق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، د.ت
٢. الانسان محور التنمية في المنهج القرآني ، د . محمد بابا عمي .
٣. تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي
٤. تفسير التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشور ( ت ١٩٧٣م ) دار تونس ، د.ت
٥. تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)
٦. تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير ( ت٧٧٤ه) دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ه.
٧. تفسير الوسيط ، لمؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، ١٩٩٧م
٨. التنمية في الاسلام ، ابراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٦م.
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠م.
١٠. الجامع لأحكام القرآن ، للأمام ابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ه) دار الشعوب القاهرة ، د.ت
١١. دار الشروق – بيروت– القاهرة ط ١٧ – ١٤١٢ هـ ، دار الكلم الطيب، بيروت ١٩٩٨م.
١٢. الروافد الفكرية العربية والاسلامية لمفهوم التنمية البشرية ، محمد الجابري، ندوة التنمية البشرية ، بيروت ١٩٩٥م.
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، العلامة ابي الفضل شهاب الدين الالوسي ، تحقيق د. السيد محمد السيد ، و سيد عمران ،دار الحديث القاهرة ، ٢٠٠٥م.

١٤. سنن ابن ماجه ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، البابي الحلبي ،
١٥. صحيح البخاري، للإمام الحافظ محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦ه) تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ،ط ٣ ، ١٩٨٧م.
١٦. صحيح مسلم، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري ( ت٢٦١ه) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت
١٧. في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)
١٨. لسان العرب ، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ه) دار صادر بيروت .
١٩. مفهوم التنمية البشرية وتنمية الذات ، د. صبري محمد خليل ،الناشر: مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧م.
٢٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ابراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ( ت٨٨٥ه) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.